على لون ماركسي محـدّد؛ وبـالتـالي، فقـد كانت قدرتها على التغيّر والانتقال الى ناصية الماركسية السـوفيـاتيـة امراً ممكناً، كما أثبت ذلك المسار اللاحق لتطوّر الفكر الماركسي لليسار الفلسطيني (الشعبية والديمقراطية)، وخاصة مع أفول نجم الماوية، واليسار الجديد في اوروبا، وتداعي الحركات الماركسية الثورية في اميركا اللاتينية.

ولا شك في ان ضعف الاستيعاب للماركسية، الناشىء عن حداثة الصلة بها، كان بارزاً في أدبيات اليسـار الفلسـطيني. ولعلّ أبرز نموذج على ذلك الالتباس الواضح في ما اذا كانت الماركسية، او الاشتراكية العلمية، هي فكر ونظرية الطبقة العاملة، أم فكر ونظرية العمّال والفلاحين معاً. وفي احدى الوثائق «الديمقراطية» اعتبرت الجبهة ان هذا العصر هو «عصر الاستعمار والامبريالية» وليس عصر انتصار الاشتراكية، كما دأبت الادبيات الماركسية كافة، منذ انتصار الثورة البلشفية في روسيا، على تسميتـه. ومن آيـات هذا الضعف، أيضـاً، التطرّف اليساري المقرون باللفظية العالية والطنّانة، والاقتباسات المجرّدة والمعزولة عن السياق الذي جاءت به أصلاً، والبعد من الملموس، على الرغم من التكرار الممل، في كثير من الاحيان، لتعبير «الواقع الملموس»، والنقل الحرفي، أحياناً، لتجارب بعض القوى والحركات الثورية، ومحاولة تطبيقها على الواقع الفلسطيني، دونما اعتبار لمدى ملاءمة الواقع الفلسطيني لها.

وانسجاماً مع التطرّف الايديولوجي، كان التطرّف السياسي وجهاً آخر لهذا التطرّف الايديولوجي. وقد عبّر ذلك عن نفسه في معظم مواقف اليسار الفلسطيني. وكمثال بارز على ذلك تبنّي شعارات مثل: «السلطة كل السلطة للمقاومة» (الجبهة الديمقراطية)، «وراء العدو في كل مكان» (الجبهة الشعبية)، بالاضافة الى استبعاد البرجوازية الكبيرة والمتوسطة وكبار ملّاك الاراضي الفلسطينيين من قوى الثورة الفلسطينية. ولقد شكّلت ظاهرة انقسام اليسار وانشقاقاته وتشرذمه لأتفه الأسباب، سمة رئيسة رافقت مسيرته. ويمكن ملاحظة ذلك ليس فقط في انبثاق الجبهة الديمقراطية، بل في تشكّل عدد من القوى الماركسية الجديدة.

ظاهرة انتشار القوى الماركسية، ١٩٧٠ ـ ١٩٨٢

كانت فتـرة السبعينات من أخصب فترات توسّع وانتشار الفكر الماركسي، سواء بالنسبة الى الفصائل التي انتقلت لتبنّي الماركسية، أو للقوى الجديدة التي نشأت على أساس تبنّي هذا الفكر، أو حتى بالنسبة الى بعض القوى الوطنية التي تبلورت في داخلها اتجاهات ماركسية، مثل «فتح» و«الصاعقة». وسوف نحاول في ما يلي ان نقف عند أهم تلك القوى.

بالنسبـة الى «فتـح»، امتـد تأثير الماركسية الى داخلها، بارهاصات تشكّل بعض المجموعات الماركسية داخل الحركة قبل العام ١٩٧٠. لكن تلك المجموعات ظهرت بصورة واضحة وبرز دورها خلال النصف الاول من السبعينات. وقد تحلّقت هذه المجموعات حول بعض الشخصيات المعروفة داخل «فتح»، مثل ماجد ابو شرار، وناجي علوش، ومنير شفيق، حيث كانت ماركسية المجموعة المتحلقة حول هذا الاخـير، ذات صبغة ماوية واضحة، وتركز وزنها الرئيس داخل الجسم الطلابي للحركة وبعض القوات؛ أمّا «مجموعة ماجد ابو شرار»، فكانت أقرب الى الماركسية السوفياتية، وقد اقتصر نفوذها على بعض الكادرات الاعلامية والصحافية في الحركة.

بالنسبـة الى «الصاعقة»، فقد تأثرت بالفكر الماركسي في سياق التأثر العام بالماركسية، الذي